© rasailojaraid.com

نظرة عابرة على تاريخ مدارسنا الزاهر

المفتي محمد رفيع العثماني
رئيس جامعة دارالعلوم بكراتشي

نص كلمات المفتي محمد رفيع العثماني –المفتي العام لجمهورية باكستان الإسلامية– ورئيس جامعة دارالعلوم بكراتشي، وعضو المجلس التنفيذي لمنظمة وفاق المدارس العربية بباكستان- التي ألقاها ككلمات الترحيب في حفلة التقدير والتكريم المنعقدة تحت اشراف منظمة وفاق المدارس العربية بباكستان في إسلام آباد في ٣ يونيو عام ٢٠٠٧ الميلادي يوم الأحد، بمناسبة زيارة سماحة الدكتور فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المشرفة لجمهورية باكستان الإسلامية.——[الإدارة]

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدالمرسلين، وعلىٰ اله وأصحابه أجمعين، وعلىٰ من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين-

وبعد: فإن من دواعي الغِبطة والسرور: أننا اليوم نستقبل في بلدنا الحبيب باكستان إمام و خطيبَ المسجد الحرام فضيلةَ الشيخ عبدالرحمٰن السديس الموقر- حفظه الله عزوجل- الذي جعل الله –عزوعلا– حُبَّه جليسَ الأفئدة،وقرينَ الأرواح وأحلّه سويداءَ قلوبِ المسلمين في كل مكان-

والحق يقال، أننا لا نجد ما نعبر به من عبارة وأسلوب عما في صدورنا من مشاعرَ وعواطفَ وانطباعاتٍ في شأن فضيلتكم إلا أن نحاول محاولة ضئيلة أن نتقدم بأحرِّ التهانِي، وأجملِ التبريكات إلى فضيلتكم-

فضيلة ضيفنا المبجَّل! إن الإ ستعمار الإنجليزي الغاشم الجائر لمَّا استولىٰ على شبه القارَّة، لم يزل مكِباً على استخدام وسائلَ ماكرة، وتدبير خطل خبيثة لِمَحوِ مآثرِ المسلمين، وإبعادِهم عن هدى الإسلام، وتعاليمه النَيِّرة، فوضع في البلاد الهندية نظاماً سلط به الأفكارَ الزائغة، والنظزياتِ الباطلة، والحضارة الغربية الهندية نظاماً وأذهانِ الشَعب المسلم في الهند، ففي هذه الظروف القاسية أصابت هذه البلادَ رحمةُ ربِها حيث ألهم الُرشدَ عصابةً من عباده الصالحين، أمثالَ الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، رحمهم الله- فأدرك هؤلاء الرجالُ الأبرار الحاجةَ الماسَّة إلى الكفاح، والذَّود عن حريم الدين

© rasailojaraid.com

© rasailojaraid.com

تقويم، والحفاظ على العلوم الدينية والمعالم الإسلامية في الهند، فقاموا ضدَّ هذا الغزوِ الفكرِي، وصمدوا أمام تيَّاراته الهدامة، وأعاصيره العاصفة،فوضعوا حَجر أساسِ المدرسة بقرية "ديوبند"، فهذه المدرسة بدأت مدرسةً صغيرةً لاتسترعِي الإهتمام، ثم لم يزل نطاقُها يتسع ويضخَّم، وصِيتُها يَذيع بفضل إخلاص أهاليها وصلاحِهم وتُقاهم، وزهدِهم فى حُطام الدنيا، وإعراضهم عن الفخفَخة حتى أصبحت كبرىٰ الجامعات الدينية فى قارَّة آسيا، وسُمِّيَت أزهر الهند، واشتهرت باسم "دارالعلوم ديوبند" في أنحاء العالم كله۔

وهذه الجامعة "دارالعلوم ديوبند" أدت دوراً تاريخيا مَرمو قَافي المجال التعليمي والتَربَوي، فأنجبت رجالاً نُبغاء علماءَ ربانيين مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، مثقَّفين، ومفكرين،وأدباء مُهرة بارعين يجمعون بين العلوم النبوية العميقة، والعمل بتوخِيها تها القَيِّمة،، يرسُمون في مختلف مجالات الحياة صوراً رائعة من التقوىٰ، والصدق، والإخلاص، والتوكل، والصبر، والشكر،والزهد في الدنيا۔

ومن سِماتهم البميزة البارزة: أنهم يتمسكون بأذيال السنة النبوية، ويبذلون في إحيائها كل ماتمد إليه أيديهم من نفس و نفيس وجليل ودقيق كما أنهم يخالفون كل بدعة في كل مكان يتحمَّلون كل خسارة في دَمِغها، لِيُحَافظوا على دين ربهم الخالص: شعائرهم، وعقائدِهم، عباداتهم، وأخلاقهم، وقِيَمِهم الدينية۔

فهؤلاء النجوم الثاقبة والأعلام النبلاء إنتشروا إلى أقطار الأرض، ونشروا الدين القويم وسلكوا بيل أبائهم الأماجد، فهذه الشبكةُ التي ترَونها شبكةُ الجامعات، والمدارس في باكستان حلقةٌ من لقات تلك السلسلة المباركة۔

سماحة ضيفنا المكرم! لما برزت باكستان على خريطة العالم كان لزاماً عليها أن تضع ظاماً تعليميا ينبثق من الكتاب، والسنة، والقيم الإسلامية من ناحية، ويُسعف الحاجاتِ المُتَطَلَّبَة للعصر الراهن من ناحية أخرى، فيكون نظاماً منهجياً شاملاً يجمع بين العلوم الإسلامية التربَوِية التى تحافظ على عقيدة الإسلام وشريعته، والعلوم الحديثة، والعصرية التي تضمن تطور الوطن الجديد، رُقِيَّه في مَجال التَقنية، والإمكانيات المادية، والكشف عن الثروة الوطنية، واستخدامها في صلاح مة، ومسايرة الأمم المتقدمة فى مجال الأ جهزة الحديثة۔

ولكن مع الأسف الشديد، لم تتحقق هذه الأ منِيَّة، لما وقع الوطنُ الإسلامي في ورطة المعاناة ديدة بعد عدة أعوام بعد استقلاله من قِبل تجادب الأحزاب المختلفة إلى يومنا هذا۔

فمازالت الكليات والمدارس الرسمية تُنَسِّق دراساتها على نفس المنهج الذي وضعه الإستعمار نجليزى، وأما العلوم مجرد اسمِها دون أن سد الفجوة التي تتطلَّبها مصلحةُ الشعب والوطن۔

ثم إنه لايكفِي أن يوضع في المعاهد التعليمية نظام يكفل تدريس العلوم فقط، ولا يعتنى بالتربية الإسلامية بل

© rasailojaraid.com

© rasailojaraid.com

يجب أن يكون هناك نظام يجمع بين الدراسة والتربية الإسلامية، فإن الدراسة العارية عن التربية الإسلامية لا قيمة لها ولا وزن۔ فَبِمَا أن المدارس الحكومية كانت عارية عن هذا الهدف السامي وهذه الغاية المنشودة التجاء العلماء وإلى إنشاء معاهد تعليمية مستقلة، وأن يتهجوا فيها مَنهج أُتربية المتوارثة في المدارس الدينية منهاجاً لا يكفل تدريس العلوم الإسلامية فحسب، بل يهتم بالتربية الإسلامية والتثقيف الديني ايضاً اهتماماً بالغاً، فأخذوا يُنشئون مدارس، وجامعات دينية على الشاكلة القديمة في أنحاء الوطن كلها، ويهتمون فيها بتربية أُلناشئة أُلجديدة الإسلامية وتثقيفها بالثقافة الإسلامية كما يقومون فيها بتدريس العلوم الإسلامية۔

ضيفنا الكريم! لم يكن هناك نظام يربط هذه المدارس والجامعات الدينية، ويؤدى إلى تعزيز، وتدعيم أواصر، وعلاقات التضامن، والتكاتف، وتوحيد الصفوف بين أبنائها، فقام كبار العلماء الأفاضل أمثال فضيلة الشيخ محمد يوسف البنورى، وفضيلة الشيخ المفتى محمود۔ رحمهم اللّٰه۔ فرشحوا انتباههم،ووجّهوا عنايتهم تُجاه هذه المهمة، وأسّوا منظمة تعرف باسم "وفاق المدارس العربية، والجامعات الإسلامية" لِتُشرف على المدارس والجامعات كلها في باكستان، وذلك قبل تسع وأربعين سنة۔

فبارك اللّٰه عزوجل فى هذه الشجرة الطيبة، فأنبتها نباتا حسناً، حيث تطورت هذه المنظمة يوما فيوما، ولاتزال تتطوَّر حتى أصبحت أليوم أكبر مؤسسة تعليمية في باكستان حيث تقوم على كيان منهجها التعليمي المتكامل كما لا تزال تنضم إليها مداس و جامعات أهلية من أول يومها من كل ناحية من نواحي باكستان، حتى تجاوز عددها عشرة آلاف وخمس مائة، وبلغ عدد الدارسين والداراساتفيها حوالي ميلون ونصف۔ وذلك فضل اللّٰه عزوجل وكرمه۔

ومن أكبر الجامعات المنضمَّة إليها جامعتنا الحبيبة "جامعة دارالعلوم كراتشى" التى أسسهاالمفتى الكبير بالديار الباكستانية سابقاً المفتي محمد شفيع الديوبندي۔ رحمه اللّٰه۔ وهذه هي المنظمة "وفاق أُلمدارس أُلعربية" التي انعقدت هذه الحفلة الميمونة تحت رياستها، وهؤلاء العلماء هم القائمون بها، والمسئولون عنها۔ وفي أُلختام نقدم إلى فضيلتكم الشكرالجزيل باسم جميع القائمين بهذه المنظمة، وجميع أبناء المدارس والجامعات، حيث أسعد تمونا بقدومكم الميمون إلى بلدنا الحبيب، ونرجو فضيلتكم أن تذكرونا في دعواتكم الصالحة في البِقاع المقدسة۔ والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته.

أخوكم في اللّٰه

محمد رفيع العثماني

رئيس جامعة دارالعلوم بكراتشي والمفتي بها

عضو المجلس التنفيذى لمنظمة الوفاق المدارس العربية باكستان

☆☆.....☆☆

© rasailojaraid.com